وسمسروا وزرعوا الشكوك وعرقلوا النشاط الوطني واحكموا الخطة بين عبد الله والحسين وبين الصهيونيين في ١٩٢٣ ــ ١٩٢٤ وأيدوا الهجرة والانتداب في العشرينات ، والتقسيم في الثلاثينات، ودعوا لوطن قومي يهودي في جزء من فلسطين ، وتسليم الجزء الاخير الى شرق الاردن ... الخ »(٩٨).

وفي الوقت الذي كان الامير عبد الله ، امير شرق الاردن ، يقمع حركة الجماهير الشرق اردنية التي كانت قد قررت بمبادرتها الذاتية ، منذ حزيران ١٩٣٦ ، في المؤتمر الشعبي الذي عقد برئاسة مثقال الفائز في قرية ام العمد ، دعم ثورة فلسطين بالرجال والعتاد ، كان البريطانيون قد قرروا اعتبار شرق الاردن ميدانا متصلا للقتال ضد الثوار الفلسطينيين في تحركاتهم . ولم يقتصر الدور الذي لعبه النظام الشرق اردني العميل على ذلكفحسب، بل اغلق الطرق المؤدية الى العراق ليمنع وصول اي امداد ، واخذ يعرقل حركة القادة الفلسطينيين الذين اضطروا لزيادة حركتهم من شرق الاردن بعد بناء الاسلاك الحاجزة علىحدود فلسطين الشمالية، وتوج هذا النظام نشاطه المضاد حين القى القبض على اثنين من القادة الفلسطينيين في ١٩٣٩ ، احدهما يوسف ابو درة ، وسلمهما الى البريطانيين حيث تم اعدامهما بعد ذلك بشهور قليلة ، كما سبق وذكرنا . في ذلك الوقت بالذات كانت قوات النظام الاردني تنشط جنبا الى جنب مع القوات البريطانية والعصابات الصهيونية في مطاردة الثوار ، ولا شك ان هذا الدور الذي لعبه نظام شرق الاردن قد شجع عناصر الثورة المضادة الداخلية على رفع مستوى اعمالها ، فقد اسهم عدد من قادة حزب الدفاع في انشاء ما أسموه بـ « فرق السلام » ، وهي قوات صغيرة مرتزقة « تكونت بالتعاون مع الانكليز وساهمت في مطاردة الثوار والاشتباك معهم ، وزحزحتهم عن بعض المواقع التي كانوا يسيطرون عليها ، وكان فخري النشاشيبي ممن ساهموا في تكوين هذه الفرق ، وتسليحها ، وتوجيه نشاطها ... مما أدى الى مقتله بعد انتهاء الثورة بعدة اشهر »(٩٩) وقبل ذلك كانت الحملة البريطانية الشرسة لنزع السلاح من جميع انحاء فلسطين قد اعتمدت على « تشجيع العناصر المعادية للمفتي على تزويد (البريطانيين) بالمعلومات والتعريف عن أشخاص الثوار»(١٠٠).

ولم يكن موقف العراق والسعودية، آنذاك، افضل كثيرا من موقف النظام الاردني ، وكانا يبديان منذ مؤتمر لندن استعدادهما « لاستخدام نفوذهما لدى زعماء فلسطين لوضع نهاية للثورة »(١٠١) ولكن ذلك كله لم يكن قادرا على ان يجعل من زعماء الثورة المضادة عملاء الانكليز قوة لها وزنها الجماهيري ، وعلى العكس ، كان يعزز من قوة المفتي وزعامته ، ولكن تشجيع عناصر الثورة المضادة كان يهدف ، من جملة ما يهدف اليه ، ضبط المفتي وابقاءه ضمن حظيرة يمكن السيطرة عليها في نهاية الامر ، فقد تصرف البريطانيون طوال الوقت وفق قناعتهم بأن النشاشيبي لا يستطيع ان يكون بديلا للمفتي. اما الهامش الصغير الذي استخدمته قيادة المفتي ، والناشىء عن التناقضات الجزئية التي كانت قائمة بين الاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان والاستعمار البريطاني ، فلم يكن ليستطيع ان يؤدي الى تغيير جذري في ميزان القوى ، وما لبث هذا الهامش ان ضاق الى حد الاختناق عشية الحرب الثانية !

ان مجمل هذه الحقائق يشير الى ان الثورة الفلسطينية في ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ضربت على مفاصلها الثلاثة : المفصل الذاتي ، بمعنى عجز وتذبذب وضعف وذاتية وفوضى قيادتها المتخلفة . والمفصل العربي ، بمعنى تواطؤ الانظمة العربية على اجهاضها في وقت لم تتفاعل الحركة الوطنية العربية الشعبية (الضعيفة) مع الثورة الفلسطينية الا بصورة انتقائية وذاتية وهامشية . والمفصل العالمي ، بمعنى الخلل الضخم في ميزان القوى الموضوعي ، والناشىء عن تحالف مجموع المعسكر الاستعماري فيما بينه ، وكذلك فيما بينه وبين الحركة الصهيونية التي صارت تتمتع منذ ذلك الوقت بقوة محلية ضاربة لا يستهان بها عشية الحرب العالمية الثانية .

ان افضل تقدير للخسائر البشرية العربية في ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ هو ذلك التقدير الذي يقول ان الخسائر في السنوات الاربع هذه قد بلغت ١٩،٧٩٢ ما بين قتيل وجريح ، وهذا التقدير يتناول الاصابات التي اصيب بها العرب على أيدي العصابات الصهيونية في هذه الفترة . ويستند هذا التقدير على الاعترافات الاولية المتحفظة التي كانت تتضمنها التقارير الرسمية البريطانية مع امتحانها على صعيد